

باب التوسل والتعلم

بقية الكلام على تقرير مشيخة العلماء في الاسكندرية

﴿ المراقبة العامة على الطلاب ﴾

ذكر في هذا الفصل انه عهد الى تسعة نفر من العلماء في مراقبة الطلاب في مسجد ابي العباس المرسي يتناوبونها ثلث فيفصلون في المنازعة أو الاساءة العادية التي يكفي في التأديب عليها الزجر والنصيحة والموعظة الحسنة ويرفعون الامر فيما يستحق فاعله العقوبة الى المشيخة ويأمرون بالصلاة مع الجماعة ويكونون مرجعا للطلاب في تصحيح المتون التي يحفظونها وحل المشكلات التي تعرض لهم . وقد كان من عموية بعض فاسدي الاخلاق من الطلاب طردهم من معاهد العلم . وعهد الى فريق من العلماء في زيارة الطلاب في مساكنهم يراقبون شؤونهم في معيشتهم ويسألون الجيران عن أحوالهم . ووجد بأن سيعنى بهذه المراقبة في القابل بأكثر مما عني بها في هذا العام . وهذا مما يمتاز به التعليم في الاسكندرية على التعليم في الأزهر فثني على الشيخ محمد شاكر التناء الحسن ورجوله زيادة التوفيق

﴿ الامتحان وتأجيله ﴾

ذكر في هذا الفصل ان مشيخة الاسكندرية رأيت أن تمتحن جميع طلاب العلم الحاضرين لنظامها في كل عام . وان تستعين في عملها هذا ببعض المتخرجين في مدرسة دار العلوم . وكذلك فعلت وتم الامتحان قولاً وكتابة فكان أن تقدم للامتحان من طلاب السنة الأولى ٣٠٣ من مجموعهم وهو ٣١٢ نجح منهم ١٩١ نقلوا الى دروس السنة الثانية . وتقدم من طلاب الثانية ٥٤ من ٥٤ فنجح ٤٨ نقلوا الى دروس الثالثة . وتقدم من الثالثة ٣٨ من ٤٢ نجح منهم ٣٥ وتقدم من طلاب الرابعة ٢١ من ٢٤ نجح منهم ١٨ قال

« وقد ألقنا بناجحي هذه السنة من نجح من طلاب السنة الخامسة وورغب في الاستمرار على طلب العلم الشريف والاتقاع له وهم ثمانية أشخاص مختلفو

المذاهب لا يمكن أن تنشيء المشيخة لأجلهم سنة مخصوصة
ثم قال : كان الامتحان الشفهي وسطا في الشدة واللين والتحريري غاية في
النظام والترتيب وهذه أول مرة جلس فيها طلاب العلوم الدينية مجلس الامتحان
المهيب امام الاساتذة وبين يدي المحبرة والقرطاس يستعملون قواهم العقلية للاجابة
عما سئلوا عنه ولكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه عن النظر الى ما يفعله غيره : اه
وهو من دواعي السرور والثناء على مشيخة الاسكندرية

﴿ مكافأة الناجحين ﴾

ذكر في هذا الفصل ان الأمير وضع مئة جنيه مصري «تحت تصرف المشيخة
من مخصصاتها في الميزانية لمكافأة جميع الناجحين في هذا الامتحان» وهذه
الجنيهات من مال الاوقاف . ثم ذكر ان الذين استحقوا الجائزة ٣٠٠ طالب
وتقول ان الناس هنا لم ينسوا انه كان قد خصص المكافأة في الأزهر ٤٠٠ جنيه
من مال الأوقاف فما زال الشيوخ الجامدون يتوسلون الى الأمير حتى ألقاها وهذا
مما تفضل به مشيخة الاسكندرية مشيخة الأزهر

النظام الدراسي

ذكر في أول هذا الفصل ان نظام التدريس في هذه السنة (التي وضع
التقرير لها) كان تجربة واختبارا وإن المهم الآن هو النظام للسنتين المقبلة . ثم
وضع لكل سنة جدولاً ذكر فيه الكتب التي تقرأ فيها وأوقاتها والبحث في ذلك
وفي الكتب التي اختارها يطول ومن قرأ كلامه فيها علم أنه في حيرة من فقد
الكتب التي تصلح لتعليم المبتدئين وله العذر في ذلك فان الكتب الأزهرية
لا يوجد فيها ما يصلح للمبتدئ والاستغناء عنها بمثل كتب نظارة المعارف في الفنون
العربية وبعض المصنفات الجديدة في غيرها كسر القيود التقليد وهو مما يعظروا
يتعسر لاسيما على المبتدئ في العمل ولكن الإصلاح يتوقف على تدريس بعض
الكتب الجديدة كما توقف الامتحان والنظام على مساعدة بعض من عرف
الطرق الحديثة في التعليم .

إذا كان ثم ما يمنع تدريس كتب المعارف في النحو والصرف والبلاغة فما
أظن ان شيئاً يمنع من تدريس كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) الذي
ألفه الشيخ محمد الخضري الازهري الداري اذ لا يوجد في الايدي مختصر لسيرة
النبوية يصلح للتدريس سواء وله كتاب آخر في تاريخ الخلفاء الراشدين لم أره
وأظن انه يصلح للتدريس أيضاً . فهذا جواب ما طلبه في الكلام على دروس
السنة الاولى من الارشاد الى مختصر وجيز في السيرة النبوية وتاريخ الراشدين .
وإذا أراد التوسع في تاريخ الاسلام في غير هذه السنة فلا أراه يستغني عن كتاب
أشهر مشاهير الاسلام .

ثم ان الاكتفاء بمختصر البخاري يقرأ في عدة سنين تقصير في الحديث
فهذا المختصر يقرأ في سنة واحدة ثم لا بد من قراءة غيره ومن العناية بعلم المصطلح
وتقد الرجال . ونكتفي بالتنبيه الى هذين الأمرين في هذا المقام ونحن نعلم عند
الشيخة في كل تقصير ، ونسأل الله تعالى أن يسهل لها كل عسير ،

وفي التقرير فصول أخرى في المدرسين وفي المساجد المدة للتدريس فيها
وفي مساكن طلاب العلم ، وفي كل فصل منها دلائل واضحة على همة شيخ
العلماء وعنايته بإتقان عمله

(عبارة التقرير)

نكتفي بما تقدم من القول الوجيز في موضوع التقرير ونحتم التقريظ والانتقاد
بعض الشواهد على ملاح لنا من التساهل في عبارته لأنني تساهل العلماء بإيراد المفردات
والاساليب المامية ووضع الكلم في غير مواضعه جنابة على اللثة لأن الناس يقلدوهم
فيما يكتبون . واني أورد هنا ما قبل التأويل بتكلف ، ومالا يقبله ولو مع
التصنف . وأرى ان صاحب التقرير لو شاء ان ينتحه حتى يسلم من الخطأ الا
مالا يسلم منه المولدون لفعل وعسى أن يفعل في تقرير آخر وهو أهل لذلك

(١) قال في الصفحة الثانية : ولاشية في الخطأ اذا صحبه حسن النية : والشية

هي اللون في الشيء يخالف لونه الأصلي ومنه قوله تعالى في وصف البقرة «لاشية»
فيها أي لالون آخر في جلدها . وقد استعمل الشية هنا بمعنى العار والميب بدليل

قوله بعد ذلك : بل العيب كل العيب أن يخطئ المرء ثم يصر على خطئه وقد نبه الى موضعه من عمله عنادا واستكبارا :

(٢) وقال فيها : وترغيا في تربية الشبية المصرية : الخ الشبية مصدر وقد

جعلها هنا وفي مواضع أخرى جمع شاب . وقد سرى اليه هذا من الجرائد (٣) قال (في ص ٣) : وبالتالي تكون كل الوظائف الدينية : كذا ولفظ

التالي لا معنى له هنا والمقام مقام الاضراب

(٤) وجمع النظم في أول الصفحة الرابعة بالانظامات وكرر هذا الجمع في مواضع

أخرى وهو جمع مؤنث للمصدر غير صحيح اذا أر يذهب النوع .

(٥ و٦) وقال فيها وأيدنا مبسوطة بالدعاء لسموه على هذه النعم المتابعة التي

أحسن بها على الأمة الاسلامية : علل الدعاء بعلى وعدى به الاحسان وهو غير معروف وهذه الصفحة لاتر يد على أربعة أسطر

(٧) قال في (ص ٥) أقبل الطلاب اقبالا كليا : وهذا الوصف من استعمال

الدواوين والجرائد ولا يظهر له وجه عربي وجيه

(٨) وقال فيها : ولكن هذا الفن لم يثبت زمنا طويلا حتى تبدد : يريد لم

يلت أن زال ولا تفيد هذا المعنى كلمة تبدد اذ معناها تفرق فكان بددا أي

حصصا وقالوا تبدد الخلي على صدر الجارية أي أخذه كله

(٩) وقال فيها أسلفنا ان عدد الطلاب الخ أي بينا ذلك فيما سلف ومضى

ولم ترد في اللغة بهذا المعنى . وقد يقال انه كقوله تعالى « بما أسلفتم في الايام

الخالية » والصواب ان الاسلاف في الآية وان فسروه بما قدمتم من الاعمال

الصالحة هو بمعنى السلم ودين السلف فقد سمي الله تعالى الانفاق في سبيله قرضا

حسنا في عدة آيات وسماه عند ما ذكر الجزاء عليه اسلافا وهذا هو معنى تفسيرهم

له بتقديم الاعمال اي جعلها قدامهم وأمامهم ولا يسمى الكلام الماضي اسلافا ولا

كل شيء فعل في الماضي اسلافا . هذا ما أجزم به فمن لم يقبله فأنا أترك له هذا

الانتقاد جدلا الا أن يأتي بشاهد عربي فاتني أتبعه فيه اتباعا

(١٠) وقال فيها ومن مطالعة الجدول المرفق بهذا يتضح كذا . أقول إن

لفظ المرفق بكذا يستعمل في عرف الدواوين بمعنى المرسل مع الشيء يقولون ورقة الحساب مرفقة بورقة الخطاب (مثلاً) وهذا خطأ فإن أرفق في اللغة لم يرد بهذا المعنى ولكنه ورد بمعنى رفق به ونفقه . على ان استعمال التقرير ليس بمعنى ما تقدم بيانه من استعمال الدواوين وإنما يعني بقوله « الجدول المرفق بهذا » الجدول المسطور في هذا الفصل من التقرير كما قال بعد ذلك « جداول الاحصاء المرفقة بهذا الفصل » وما كان أغناه عن لفظ المرفق . ولعله يجعل بعد هذه الجداول عدداً يشير اليه بالأرقام أو بأسماء العدد فيقول ويعلم من الجدول الاول كذا ومن الجدول الثاني كذا :

(١١) وقال فيها : ولكنه على العموم يبشر بكذا : وكتاب الجرائد تستعمل هذه العبارة بمعنى قولهم في «الجملة» والعموم مصدر عمّ ومعناه الشمول ويستعمل في اصطلاح الأصوليين بمعنى استغراق اللفظ لافراد غير محصورين وعند أهل المنطق بنحو هذا ويقابل بالخصوص ولا محل لشرح ذلك هنا وعبارة التقرير ليست من هذا في شيء

(١٢) قال (في ص ٦) وقد استلقت انظار الباحث النخ وصيغة الاستلقات لم ترد في اللغة وقد سبق لنا ولكثير من الكتاب المدققين استعمالها تبعاً للجرائد وكان أول من نبهنا اليها المرحوم الشيخ محمد محمود الشنقيطي فذكرنا ذلك في المنار يومئذ . وقد ورد لفته وألفته

(١٣) واستعمل فيها وفي غيرها لفظ (الاحناف) جمعاً لحنفي وهو غير صحيح (١٤ و١٥) وقال فيها وقد يلاحظ المطلع على احصائية العام المقبل : يعني بالاحصائية الجدول الذي أحصى فيه عدد التلاميذ ولا يظهر لي وجه وجيه لتسميته احصائية . ولا حظاً لتمددي بهلى وهو يكفر من قول لاحظ عليه فهو خطأ . والعرب تستعمل لفظ «عام قابل» للعام الذي بعد عام المتكلم وورد في الحديث فلا أدري لماذا يستبدل به صاحب التقرير لفظ المقبل ولم اعده عليه . ومعنى أقبل في اللغة جاء من قبل أي من جهة الأمام فلفظ مقبل ليس نصاً في العام الذي بعد عامك كلفظ « قابل » وليس في الصفحة السابعة والتين بعدها الا الجداول

(١٦) كتب فوق الجدول الذي في (ص ٩) مانصه « إحصائية طلاب العلم الشريف بغير الاسكندرية والجهات التابعة لها » فوصف الجهات بوصف المذكور الماقل ولعل هذا سبق قلم أو تحريف من المطبعة

(١٧) وفي هذا الجدول كلمة (أصوان) والصواب أسوان بالسین المهمة ولكن هذا من الخطأ الرسمي الذي عليه الحكومة وبلغنا ان نظارة المعارف صححته لها (١٨) وفي (ص ١٠) وصف النتائج بالحقة وهي تأنيث للحق وهو لا يؤنث وقد كثرت الجرائد استعمال الحقة ففرى فيها الوطنية الحقة، الشريعة الحقة، الديانة الحقة، وهو خطأ (١٩) وقال فيها استعمالها بإفراط: يعنى الطريقة والطريقة لا تستعمل استعمالا

وكان يحسن ان يقول أفرطوا فيها

(٢٠) وقال فيها: تكليف الطلاب بحفظ: الخ ولم يرد كلف متعديا بالباء بل ورد كلفه الأمر ولكن الفقهاء قد عدوا كلف بالياء فلما زول كلامهم العذر بتعديته بها ولا نكاد نسلم منه على علمنا به

(٢١) وقال فيها « حتى يبلغوا الحد الذي يقفون فيه على الاشتغال بأقامة الأدلة والبراهين على الذين كانوا يعلمون » وحسب القارى لهذه الجملة قراءتها فلا حاجة الى بيان ضعفها .

عبارة هذا التقرير الذي يبلغ زهاء ٩٠ صفحة وهذه الاغلاط مستخرجة من اربع صفحات منه قد عدت عشرين الا أن منها الاولى وليس فيها الا عنوان التقرير والثانية نصف صفحة . والرابعة اربعة أسطر ، والسابعة والثامنة والتاسعة ليس فيها غير الجداول . وفي هذه الصفحات غير ما ذكرنا ولكنه يحتمل التأويل فتركناه . هذا واننا نعتقد ان الشيخ شاكر هو من اكتب العلماء ونكتفي بهذا النموذج من انتقاد الرسميين ولكنه يكثر قراءة الجرائد فأثرت في نفسه أساليب أكثرها حظوة عنده وهو لكثرة شغله لم يدقق في تحرير عبارة تقريره فجاءت كعبارة بعض الجرائد واننا لم نقدم على انتقاد التقرير الا لعلمنا بسعة صدره وعرفانه لقيمة الانتقاد وقد أشار الى ذلك في المقدمة فله الشكر على هذا الارشاد وعلى خدمته للعلم والتعليم « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم »

(أبو نا آدم ومذهب دارون . من باب الانتقاد على المنار)

كتب الينا بعض القراء وكلنا بعضهم في إنكار ما كتبه الدكتور محمد توفيق أفندي صدقي في مقالات (الدين في نظر العقل) عن خلق آدم ومذهب دارون . وأنكر بعضهم سكوتنا على ما كتب فتجيهم (أولاً) بأنه ليس من شأن أصحاب الصحف أن يقرنوا رأيهم بكل ما ينشرونه لغيرهم (ثانياً) ان الكاتب قد ذكر ما ذكره في المسألة على تقدير ثبوت مذهب دارون ثبوتاً قطعياً وهو غير ثابت عنده الآن فهو يقول ان مذهب دارون في المسألة ظني لا يقيني وهو ان ثبت بالبرهان اليقيني فإنه لا ينقض القرآن بل يمكن أن يؤخذ من القرآن ما يوافق

واعلم ان ماورد في القرآن من خلق آدم من تراب ومن طين قد ورد نظيره في خلق الناس كلهم قال تعالى في سورة الانعام (٦ : ٢) « هو الذي خلقكم من طين » وقال في سورة الصافات (٣٧ : ١١) « فاستفهم أم أشد خلقاً أم من خلقنا انا خلقناهم من طين لازب » فهل هذه الآيات نصوص قاطعة على ان الخطابين بها خلقوا من الطين مباشرة ؟ واذا جاز تأويلها جاز تأويل ماورد في آدم وذلك بمثل قوله تعالى في سورة المؤمنین (٢٣ : ١٣) « ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين » ومعلوم ان مادة النسل من الطعام وأصله مواد الارض النباتية . وماورد في خلق الناس من نفس واحدة ليس نصاً قطعياً في أن المراد بالناس جميع البشر اذ لو كان ذلك نصاً لما قالوا ما قالوا في تفسير قوله تعالى في سورة الاعراف (٧ : ١٨٩) « هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن اليها » وهو ان الخطاب تفریش والمراد بالنفس الواحدة ابرهم قصي وذلك ان الله تعالى أخبر عن هذه النفس الواحدة وعن زوجها انها جملا له شركاء وآدم لم يكن مشركاً . وقد سبق لنا بيان آخر لمعنى الآية والمراد هنا ان اختلاف المفسرين في معنى الآية دليل على أنها ليست نصاً قطعياً في ان النفس الواحدة آدم . وليت شمري ماذا يضر المسلمين بيان المخرج من اعتراض الكفار على القرآن فمن لم يهجهبه هذا الجواب فليأت بأحسن منه وليمتدخبر هذا وذلك فأنما غرضنا بيان أن كلام الله تعالى حق لا سبيل الى نقضه بحال